

التحليل المقارن لمكونات الهجرة في الأدب الإيراني والمصري؛ رواية "العودة" لکلی ترقی و "بروکلین هایتس" لمیرال الطحاوی

بهناز دریانورد*

زرین تاج پرهیزکار (الكاتبة المسئولة)**

فرهاد دیوسالار***

الملخص

مفهوم الهجرة في الأدب المعاصر، لا سيما في أعمال الكتابات، ظهر كتجربة وجودية ومتعددة الأبعاد. تتناول هذه الدراسة، بالمنهج المقارن، تحليل عناصر الهجرة في رواية "العودة" للكاتبة الإيرانية کلی ترقی ورواية "بروکلین هایتس" للكاتبة المصرية میرال الطحاوی. يتركز البحث على تحليل أزمة الهوية، والشعور بعدم الاستقرار، وتأثير البيئة المضيفة على تشكيل تجربة الهجرة. و باستخدام المنهج التحليلي-الوصفي، يبين كيف تواجه الشخصيات الرئيسية الثقافات السائدة والأقليات، وتعيد تعريف ذاتها، متجاوزة الحدود الذهنية والاجتماعية. وتُظهر النتائج أن كلتا الكاتبيتين، باستخدام السرد الأنثوي، تخلقان فضاءً تصوريًّا حيث تُعد الهجرة أكثر من مجرد تنقل جغرافي، بل هي "هجرة معنوية" نحو إعادة بناء الهوية. كما تشير مقارنة البيئة في العملين إلى التأثير العميق للفضاء على انعكاس المهرة، فاللاستقرار والوطن المفقود في "العودة" ومدينة بلا ذكريات في "بروکلین هایتس" يوفران أرضية لتكثيف الأزمة الداخلية للشخصيات.

الكلمات الدليلية: الأدب المقارن، أدب الهجرة، الرواية، میرال الطحاوی، کلی ترقی.

*. قسم اللغة العربية وآدابها، فرع كرج، جامعة آزاد الإسلامية، كرج، إيران

**. قسم اللغة الفارسية وآدابها، فرع كرج، جامعة آزاد الإسلامية، كرج، إيران
parhizkar@yahoo.com

***. قسم اللغة العربية وآدابها، فرع كرج، جامعة آزاد الإسلامية، كرج، إيران

تاریخ القبول: ٢١/٤/٢٩ تاریخ الاستلام: ٢٩/٣/٤٤٧٠ ق

المقدمة

تُعدّ الهجرة تجربةً متعدّدة الطبقات ومعقدة في ذاتها، وقد شكلت في الأدب المعاصر فضاءً لتمثيل الهوية والذاكرة والانفصال الثقافي. وإذا أردنا تحديد جنس أدب الهجرة، وجب عده «فرعاً من الأدب الغنائي». (شمساً، ١٣٨٦ ش: ١٢٧) فالإنسان حين يهاجر إلى أرض جديدة يحمل – من حيث لا يشعر – العناصر الثقافية لمجتمعه الأعمّ معه، وفي المقابل يتأثر بثقافة المجتمع المضيف ومعارفه وتجارب أهله وعاداته وتقاليده. وتتمثل هذه الظواهر مضموناً وجوهراً العدد من آثار أدب الهجرة. ومن أبرز العوامل المؤثرة في مسار التحديث في البلدان النامية هو «انتقال السكان نحو البلدان الأكثر تقدّماً، ذلك أنّ التحديث مفهومٌ غربي في أصله، ومن ثمّ فإن تحقّقه على المستوى النظري والعلمي لا يمكن أن يتمّ دون معرفة مباشرةً بهذا المفهوم وثقافته». (جهانگلو، ١٣٧٩ ش: ٣٩)

يبحث الأدب المقارن في العلاقات والروابط بين آداب الشعوب والأقوام المختلفة في العالم. وفي هذا الحقل «لا يكون المقصود عند الباحث والناقد هو العمل الأدبي ذاته، بل البحث في كيفية تخلّي الأثر الأدبي لقوم ما وانعكاسه في أدب قوم آخر». (زرين كوب، ١٣٦٩ ش: ١٢٥) وقد اكتسب الأدب المقارن في العصر الحديث أهميةً كبيرة بسبب بروز قضايا الترجمة، والنقد الأدبي، والعلوم، وما يتصل ب مجال الثقافة والأدب والمحوار بين الحضارات. أما الرواية العربية والفارسية، فيسبب تقاربها في المفاهيم والعناصر، فقد كانت دائماً محطّ دراسة وتحليل من قبل الباحثين. وفي العصر الجديد، ومع تطوير وسائل الاتصال، شهدت الهجرات توسيعاً ملحوظاً. وتشير استطلاعات الرأي العالمية إلى أنّه «أكثر من سبعمائة مليون شخص آخر يرغبون في الهجرة إلى بلدٍ غير بلد إقامتهم الحالى إذا توفرت لهم الظروف المناسبة، وتشير الأرقام الإجمالية إلى أنّ الهجرة تشكّل هاجساً لما يقارب مليار إنسان في العالم». (تفرشى مطلق، ١٣٨٩ ش: ٢١٦) تتناولُ هذه الدراسة، بالمنهج التحليلي-الوصفي، الدور المهمّ لتكوينات الهجرة (الهوية، اللاّمأوى، والبيئة) في أفكار الكتابين المعاصرين في إيران ومصر، كما تسعى إلى إبراز نقاط الالقاء بين البلدين في مفهوم الهجرة ومقارنتها. وتهدّف هذه الدراسة

إلى الإجابة عن هذا السؤال: كيف تتجلى أوجه التشابه والاختلاف في قضية الهجرة في عملٍ "العودة" للكلى ترقى و "بروكلين هايتز" لميرال الطحاوى؟

بيان المشكلة

بدأ أدب الهجرة، بوصفه ظاهرةً أدبيةً خاصةً يغلب عليها الطابع السياسي، منذ أواخر القرن الثامن عشر. وفي هذا السياق، طرح الناقد عالم الجمال الدنماركي جورج براندس لأول مرة عام ١٨٧١ م مقولته أدب الهجرة والمنفى في كتابه «التيارات الأساسية في أدب القرن التاسع عشر». وقد استخدم هذا المصطلح لوصف الكتاب الذين غادروا أوطانهم بعد الثورة الفرنسية الكبرى. (يزدانى، ١٣٨٧: ١٥) ومع توسيع الدراسات الثقافية، ازداد الاهتمام بأدب الهجرة، وظهرت آراء متعددة حول تأثير الهجرة في الأدب. ويرى نامور مطلق أن العلاقة بين المخيلة والهجرة يمكن تفسيرها بطريقتين: الأولى أن الهجرة تحدث تأثيراً عميقاً وجوهرياً في المخيلة والعمل الفني، والثانية أن الهجرة قد لا تترك أي تأثير في المخيلة أو النتاج الفني. وتُظهر دراسة أوضاع الفنانين تتويجاً كبيراً في مدى تأثيرهم ببيئة المنشأ، فبعضهم يتأثر بها تأثيراً واضحاً، بينما يتأثر آخرون ببيئة المهاجر. (أحمدزاده، ١٣٩١ش: ١١٧-١١٨) ويدخل المهاجر، وهو يحمل زاداً من الإرث الثقافي واللغوي، إلى مجتمع جديد لفترة قد تطول أو تبقى مجهولة. وقد يختلف هذا المجتمع كثيراً عن المجتمع الأعمى. ورغم هذه التحديات، يقرر المهاجر البقاء – إن لم يكن إلى الأبد – إلى مدة طويلة وغير متوقعة – ويُسعي قدر الإمكان إلى التكيف مع شروط حياة هذا المجتمع. إن نوع ودرجة هذا التكيف مع الأعماط السلوكية، والتقاليد، والمعتقدات، وأساليب العيش في المجتمع الجديد، هي التي تحدد مصير المهاجر: فقد تجعله في عزلةٍ ويعيدها عن الجسد الأساسي للمجتمع المضيف، أو قد تحوله من غريبٍ ضائعٍ وحيدٍ إلى فردٍ مقبولٍ – أو على الأقل محتملٍ – داخل المجتمع الجديد. (مدرسى، ١٣٩٣ش: ٤٧)

تُعد الرواية حقلًا ديناميكيًا بامتياز، وهي – كما يقول غولدمان – ميدان صدام "الانحلال المزدوج": انحلال البطل وانحلال عالم الرواية. فعالم الرواية عالم منحط لأنّه

انعكاسٌ لبيئةٍ غدتُ غريبةً عن الإنسان، أمّا بطل الرواية فمُنحَطٌ لأنَّه يبحث في هذا العالم عن قيمٍ أصيلةٍ مفقودة. ومن ثمَّ فإنَّ صورة الرواية هي ذاتُ الصورة التي يعيش البشرُ داخلُ إطارها يومياً. إنَّ ظهورَ "الفرد الإشكالي" أو الإنسان البروبليماتيكي هو العاملُ الأساس في نشوء الرواية في العصر الحديث. فالفرد الإشكالي هو ذلك الإنسان الذي يرتبط، ارتباطاً مباشراً، بجميع الطواهر السلبية والإيجابية في المجتمع المدنى الحديث. (فرزاد، ١٣٧٨ش: ٧٧) وتُعدُّ الرواية أحدَ أهمِّ الأجناس الأدبية في الأدب العالمي، إذ نصل من خلال قراءتها إلى لغة الكاتب ورؤيته الفكرية. والرواية العربية والفارسية المعاصرة تُشكّلان كذلك فضاءً رحباً لتجلىُ أفكار الكتاب في هذين الحقلين الثقافيين. كما أنَّ أدب الهجرة يعدُّ بدوره مجالاً مهماً للتعبير عن هواجس وأحلام الوطن، ذلك الوطن الذي يعيش تحت وطأة ضغوط اجتماعية وسياسية متعددة. من خلال الدراسة المطبقة على الروايتين المذكورتين، تمَّ تحليلُ عناصر أدب الهجرة، مثل: أزمة الهوية، وانعدام المأوى، ومقارنة الفضاء الروائي. ويعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي-التحليلي في مؤلفات أدب الهجرة كما تتجلى في الروايتين محلَّ الدراسة.

أسئلة البحث

١. كيف تُجسَّد الهجرة في روايتي "العودة" لـكلى ترقى و"بروكلين هايتز" لميرال الطحاوى؟
٢. ما أوجه التشابه والاختلاف في معالجة أزمة الهوية في العملين؟
٣. ما دور البيئة الثقافية والاجتماعية والسياسية للمجتمع الضيف في صوغ شعور انعدام المأوى لدى الشخصيات الرئيسية؟
٤. ما أوجه الاختلاف في اللغة وبنية السرد ورؤيه الكاتبتين الإيرانية والمصرية تجاه الهجرة؟

فرضيات البحث

١. تُقدَّم الهجرة في كلا العملين كتجربة تتجاوز حدود الانتقال الجغرافي، لتغدو عملية لإعادة بناء الهوية الفردية والثقافية.

٢. تصور أزمة الهوية والشعور بالانتماء فى كلتا السردتين النسويتين بصورة داخلية ومعقدة، إلا أن اختلاف الخلفية الثقافية يؤدى إلى تباين فى طريقة مواجهة الشخصيات لهذه الأزمات.
٣. تلعب البيئة المضيفة فى كلا العملين دوراً مباشراً فى تعميق الشعور بالعزلة والتضاد الثقافى، وتعمل محظياً نفسياً لدفع الشخصيات نحو تجاوز أزمة الهوية.
٤. ترکز كلى ترقى على الحنين والعودة إلى الوطن، بينما تميل ميرال الطحاوى إلى ترسیخ هوية متعددة ومتشرذمية داخل المجتمع المضيف.

خلفية البحث

لقد كتب العديد من الكتب، الرسائل الجامعية والمقالات حول تحليل روايات ميرال الطحاوى وكلى ترقى. ومع ذلك، سيتم عرض أهم هذه الأعمال بإيجاز فيما يلى؛ حيث تشمل الرسائل الجامعية والدراسات التى تناولت هذه الروايات ما يلى:

غىمى، عبدالأحد وبدخسان، روايا. (١٣٩٥ش). مقال بعنوان: «مظاهر تأثر ميرال الطحاوى بفروغ فرخزاد فى رواية بروكلين هايتس».

رحيم زاده، عزيز، قهرمانى، على و مهين حاجى زاده چقوشى. (١٣٩٨ش).

رسالة ماجستير بعنوان: «دراسة العناصر السردية فى رواية الباذنجانة الزرقاء لميرال الطحاوى»، جامعة الشهيد مدنى آذربىجان. استندت الباحثة فى هذا البحث إلى استخدام تقنيات وعناصر سردية متعددة لتحقيق أهدافها النسوية.

فرهنگى، سهيلا ورشت بهشت، أشرف السادات. (١٣٩٨ش). مقال بعنوان: «التسمية فى رواية خواب زمستانى للكلى ترقى».

غىمى، عبدالأحد؛ خوش نفس، حبيبه. (١٣٩٨ش). مقال بعنوان: «دراسة نفسية لأنماط الشخصيات فى رواية الباذنجانة الزرقاء لميرال الطحاوى وفق نظرية كارين هورنائى». يحاول هذا البحث تحليل شخصيات الرواية وفق الأنماط الثلاثة للشخصية: النوع الحب، النوع المنعزل، والنوع المتفوق.

مرىمى، الهام؛ حيدريان شهرى، أحمد رضا؛ صديقى، بهار. (١٣٩٩ش). دراسة

عنوان: «المواضيع النسوية في أعمال ميرال الطحاوي (دراسة حالة ثلاثة روايات: الحباء، الباذنجانة الزرقاء وبروكلين هايتيس)». ركز البحث على النقد النسوى مع تحليل موضوعات مثل اليأس والإخفاق لدى النساء، الفقر والحرمان، عدم مكانة اجتماعية، وأخيراً الروح المتمردة للنساء لتحقيق ظروف أفضل في هذه الروايات. مساح، آفاق آخرون. (١٤٠٢ ش). مقال عنوان: «أدب الهجرة من خلال ذاكرة كلٍّ ترقى»، حيث تناول فيه الباحثون قصص كلٍّ ترقى.

طاهريان، زهرا؛ درى، نجمة. (١٤٠٣ ش). مقال عنوان: «مشكلة أزمة الاسم في رواية الهجرة (دراسة حالة: كلٍّ ترقى وروح أنكىز شريفيان)»، تناول هذا البحث أزمة الاسم فقط.

ومن الجدير بالذكر أنه وفقاً للأبحاث السابقة، لم يتم حتى الآن إجراء دراسة مستقلة عنوان: تحليل أدب الهجرة في الروايات النسائية الإيرانية والمصرية؛ دراسة حالة: "العودة" لـكلٍّ ترقى وـ"بروكلين هايتيس" لميرال الطحاوى.

منهجية البحث

إن منهج البحث في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي مع التحليل والمقارنة للحالة الدراسية، واعتمد على تجميع الملاحظات من المصادر المكتبية. وقد شمل البحث دراسة وتحليل روايتي: "العودة" لـكلٍّ ترقى وـ"بروكلين هايتيس" لميرال الطحاوى. في هذا البحث، يتم استخدام المنهج الوصفي التحليلي لدراسة مكونات أدب الهجرة في هاتين الروايتين.

ملخص رواية "بروكلين هايتيس"

تدور رواية "بروكلين هايتيس" حول امرأة حزينة ووحيدة تُدعى هند، تعيش في أسرة عربية في قرية صغيرة تُسمى تلال فرعون. هي امرأة شرقية، وبعد انفصالها وطلاقها من زوجها، تهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية مع ابنها البالغ من العمر ثمانى سنوات، ليصبح ابنها هو الرفيق الوحيد لها منذ ذلك الحين. تعانى هذه المرأة من الغربة الزمنية والمكانية والوجودية. تتمثل غربة هند أساساً في التمييز وعدم الاهتمام

بها مقارنة بالنساء الآخريات، وظهرت هذه الوحدة والغرابة في جميع أنحاء الرواية بوضوح. هي امرأة سئمت من الماضي ومن معاناة المجتمع الذكور، فهاجرت إلى بلد غريب. بعد وصولها إلى الولايات المتحدة، تلقى بالعديد من المهاجرين من دول مختلفة، وخاصة العرب، وتلاحظ أنهم يعيشون أزمات حياتية، وتجد نفسها جزءاً منهم. رغم هجرتها من بيئه جغرافية ضيقة إلى مساحة واسعة، فإن هند تبقى محصورة ضمن أفق محدود في المدينة، حيث تتنقل فقط في شوارع وأزقة بروكلين، ترافق ابنتها إلى المدرسة، وتعاطي مع المهاجرين الآخرين. تواجهه قيوداً جديدة في هذا العالم الجديد. وبسبب الغربة، تتعامل مع رجال كثيرين يحاول كل منهم خداعها بطريقة أو بأخرى. تعانى هند من الصراع بين ثقافتين: ثقافة المدينة التي جاءت منها، والثقافة الرسمية للولايات المتحدة، فهي تقارن باستمرار بين الماضي والحاضر، وبين طفولتها وأزمات منتصف العمر التي تمر بها.

ملخص رواية "العودة"

تبدأ رواية "العودة" عندما تقف ماهسيما خلف النافذة وهي في صراع داخلي لتقرب ما إذا كانت ستعود إلى إيران أم لا. تتحدث مع ابنتها الكبير هرمز في الولايات المتحدة، وتسترجع ذكريات هجرة زوجها أميرضا الذي عاد إلى طهران منذ سنوات، مروراً بتجربتها في الهجرة. تتضمن هذه الذكريات خروجها من إيران، حياتها في فرنسا، تعليم الأطفال، الأصدقاء والمعارف الجدد، شعور أميرضا بالحنين إلى إيران، ومعاناتهم من الفقر والغربة. يقرر أميرضا العودة إلى إيران لبيع ممتلكاته، لكنه لا يعود. يكبر الأبناء ويدهبون إلى أمريكا، فيما تبقى ماهسيما في فرنسا متربدة. تسمع عن أحوال إيران من أفراد عائلتها، وتقارن بين البقاء والمغادرة. تطلب المساعدة من صديق يدعى السيد صالح، وهو رجل هاجر إلى فرنسا من قبل وترك ممتلكاته، وعندما عاد إلى إيران اكتشف أنه فقد جزءاً كبيراً منها. ترى ماهسيما كل شيء، وتتحدث مع الجميع، وتسأل عن كل شيء، وفي النهاية تقرر العودة إلى إيران لتعيش من جديد تجربة الحياة هناك. شخصية ماهسيما في بداية الرواية امرأة مشتتة، حيث علمت بشكل غير مباشر أن

زوجها لم يعد ملتزمًا بحياتها المشتركة، لكنها لا ترید أو لا تستطيع تصدق هذا الواقع، وتستمر في الحفاظ على العلاقة القديمة في ذهنها مع التخطيط للمستقبل. خلال الرواية، إما أنها تعيش في الماضي أو تصور المستقبل، لكن مع سفرها إلى إيران، يتغير كل شيء. تضطر لمواجهة صورها الذهنية والصالح مع الواقع الذي تراه وتلمسه، بدءًا من الأقارب الذين تغيروا وبيتها الذي استولى عليه الغرباء، ومدينة تختلف تماماً عن تلك التي كانت في ذهنها. لكن هذه المواجهة تجعل شخصية ماهسيما المشتتة أكثر تماسكاً. في هذا السفر، تتبع واقع حياة زوجها، وتواجه ما كانت تعتبره كابوساً، وفي النهاية تبني حياة جديدة رغم الماضي وذكرياتها. تصبح ماهسيما في نهاية الرواية مختلفة عن البداية، فهي تعرف أبناءها، وزوجها، وأقاربها، ومع هذا الوعى بالواقع تستطيع اتخاذ قرار حول مكان وكيفية العيش، والخروج من حالة التي المستمر التي كانت فيها سابقاً.

١. المناقشة والبحث

في أدب الهجرة الإيرانية يبرز اسم كلی ترقى بروایتها، ولا سيما رواية "العودة"، كما يبرز في الرواية العربية المعاصرة اسم ميرال الطحاوي التي قدمت بروایتها "بروكلين هايتز" عملاً سردياً مميزاً في موضوع أدب الهجرة. تبدأ كلی ترقى روايتها "العودة" بقصيدة تشير فيها إلى حوار بينها وبين الشخصية الرئيسية في الرواية، وهي امرأة في الخامسة والخمسين من العمر تدعى ماه سيمما. تقيم ماه سيمما في فرنسا، وتقف على مفترق طريق بين العودة إلى إيران أو البقاء في فرنسا. وفي نهاية المطاف، تقرر العودة إلى إيران، ونقرأ في رواية "العودة" سرداً لأيام ماه سيمما في إيران على لسان كلی ترقى نفسها.

رابع أعمال ميرال الطحاوي هو رواية "بروكلين هايتز". وقد كتبت هذه الرواية في اثنى عشر فصلاً وبلغت مائتين وستة وأربعين صفحة، وقد حصل الباحثون على نسختها مباشرة من الكاتبة نفسها. وقد سُمِّي معظم فصول الرواية بأسماء الأمكنة التي كانت بطلة القصة تقيم فيها. أمّا موضوع الرواية ومحورها، فيدوران حول امرأة حزينة ووحيدة تدعى هند، نشأت في أسرة عربية في قرية صغيرة تُعرف باسم تلال فرعون.

وتعانى هذه المرأة من غربة زمانية ومكانية وجودية؛ إذ إن غربتها نابعة أساساً من الإهمال والتمييز الواقع عليها مقارنة بالنساء الأخريات، وتبدو هذه الوحدة والغربة جلية في مختلف مواضع الرواية.

وبعد دراسة الروايتين، تبين أنّ عناصر مثل أزمة الهوية، واللاماؤ، ومقارنة البيئة قد انعكست فيهما معاً. وستتناول في ما يأتي تحليل هذه العناصر من خلال شواهد منتقاة من كل رواية، وبيان حضورها في إطار أدب الهجرة:

أزمة الهوية

إن لفظ "الهوية"١ في اللغات اللاتينية مأخوذ من الكلمة (identitas) التي ترجع إلى الجذر (iden) بمعنى "الماثل والتطابق". أمّا في العربية فهو مشتق من الكلمة «هو»، ومن ثمّ فالهوية لأى ظاهرة تدل على هويتها وماهيتها وذاتها. (الطائي، ١٣٧٨ ش: ٣٤) ويرى موفى أن «الهوية حصيلة عملية تتصف بالتشعب والسيولة والتعدد.» (فاسمي، ١٣٨٣ ش: ٢٢) ومن المترادفات التي تُستعمل للدلالة عليها: "التطابق"، "الماثل"، "التوافق"، "الماهية"، "الشخصية"، و"الجوهر" أو "الذات". (شعاري نجاد، ١٣٧٥ ش: ١٩؛ وبريجانيان، ١٣٧١ ش: ٢٨٣) ولا يمكن تعريف الهوية بعيداً عن السياق الاجتماعي، لأنّ الهوية تُبنى في علاقتها بالآخر، وبعبارة أخرى تتم إعادة تثبيتها من خلال رسم صورة الآخر.» (دلاپورتا، ١٣٨٣ ش: ١٣٧) وتظهر أزمة الهوية عندما «يدرك مجتمع ما أن ما كان مقبلاً في السابق بلا تردد باعتباره تعريفاً نفسياً وجسمانياً لذاته الجمعية، لم يعد قابلاً للتقبل في الظروف الجديدة.» (بای وزملاؤه، ١٣٨٠ ش: ١١٠)

تعد رواية "بروكلين هايتس" واحدة من أشهر أعمال ميرال طحاوى، حيث يشكل مفهوم الهجرة أحد المحاور الرئيسية في بنيتها. واسم "هند" في المعاجم يشير إلى دلالة قريبة من الحب والوله، ويرتبط أحياناً بانقطاع العلاقة، وهو اسم يطلق على من تعشش خبيثة في الحب أو في تحقيق الأمانى، وكذلك على من تقيم في بيئه بعيدة عن مجتمعها الأصلى. وبناء على هذا التوصيف الاسمي يمكن القول إن الكاتبة تقدم القارئ إلى

1. identity.

لامح شخصية البطلة بطريقة غير مباشرة.

هند امرأة مشهورة نسبياً، فقد هربت من تناقضات قريتها (تلال فرعون)، واختارت الوحيدة والغريبة في الولايات المتحدة الأمريكية. وهي شخصية محورية تبدأ الكاتبة بعرضها في بدايات الرواية كي تكشف للقارئ مسار تكوين هويتها في بلدان مختلفين، الأمر الذي يوضح أبعاد شخصيتها على نحو أعمق:

اسمها "هند"، لكن لها أيضاً ألقاب تدليل كثيرة. كل ما تذكره من ألقابها كان "يا ثرمة" حين سقطت أسنانها في مراحل التبديل المختلفة للأسنان، و"يا أم ضب" لأن فيها العلوى أكثر بروزاً من السفلى، و"يا عوجه"؛ لأن يديها لم تكونا تستطيعان الإمساك بالأشياء كما ينبغي ليدين. تنزلق الأشياء من يدها وتتنكسر ... (الطحاوي، ٢٠١١م: ١٨) الموضع الذي تقدم فيه الكاتبة هند بطريقة مباشرة هو حين تقف أمام جماعة من اللاجئين الذين تجمعوا لتعلم اللغة الإنجليزية، فتبدياً بتعريف نفسها. سماع هذه العبارات من فم بطلة الرواية ينبع القارئ شعوراً بالفضول والألفة، ويجعله منذ الصفحات الأولى يلمس كون هند مهاجرة وما يترتب على هجرتها من آثار سلبية تتعكس على لامح شخصيتها:

اسمي "هند". جئت من القاهرة، لا أعرف بالضبط لماذا؟ أحاول التكلم بالإنجليزية. أحب اللغة العربية، كنت أعمل مدرسة، فقط أشعر أنها لم تعد كافية. أشعر بخجل كلما كان على أن أتكلم بالإنجليزية حتى الكلمات الصحيحة التي تعلمتها، عادة ما أنطقها بطريقة تجعل الآخرين لا يفهمون ما أقول. كنت أذهب دائماً إلى أماكن المثقفين، وأدعى أنني واحدة منهم، لا أفهم تماماً ما يتحدثون عنه. أجلس فوق المبعد البعيد كي لا يسألني أحد.. (نفسه: ٢٣)

أحد تداعيات أزمة الهوية في العصر الحاضر هو ما يسمى بالدياسبورا. فالمهاجرون الذين تفرقوا إلى الأبد عن أرض الآباء والأجداد، واستقروا في أرض المضيف، حيث تحل ثقافة المجتمع الجديد محل ثقافة الوطن الأصلي، يصابون بحالة من تشتت الهوية، فيجدون أنفسهم عالقين في برشخ بين الوطن والمقصد. (توكلى وآخرون، ٢٠١٤ش: ٢٨) رواية "العودة" لكلٍ ترقى تُعد من الأعمال البارزة لها، حيث تتجلى فيها بشكل

ملموس المفاهيم الدالة على عنصر المиграة. في الأجزاء الأولى من الرواية، يكون منظور السرد من الشخص الثالث، من لغة كلى ترقى، ثم يتحول السرد إلى منظور شخصية ماه سيمما، ويتحول بعدها السرد إلى الشخص الأول. تتدفق في مضمون هذه القصة مشاعر الحب، والعودة الأمومية، والشعور بالوحدة، والاغتراب، والحنين، وكذلك الحيرة وال疑虑. بعد سفر أمير رضا (زوجها) إلى إيران، لم يعد لها أى خبر عنه، وكان التردد بين البقاء والعودة يرافقها يومياً. الموضوعات مثل سفر أمير رضا إلى إيران، ولقاء سام وخطيبته، وما شابه ذلك من أحداث، هي الموضوعات التي تسير بها القصة. هذه الرواية تحمل ذات المضمون الذي ميز أعمال كلى ترقى الأخرى: الاهتمامات، القضايا الاجتماعية والسياسية، واستحضار الذكريات؛ ولكن يبدو أن الاهتمام يتجلّى بشكل أوضح عندما تواجه ماه سيمما التردد بين البقاء والعودة، وخشيتها من أن تكون غريبة في وطنها، وفي الوقت نفسه تفكّر بأمير رضا، وما إلى ذلك من الأمور التي تشكّل مشاغل ذهنها. في جزء من الرواية تقرأ: «مضطربة وحائرة ومتعبة من صراعاتها الداخلية، كانت تُغامر وتأخذ قرار العودة. من تلك القرارات الرقيقة الهشّة التي تنهار بأقلّ لمسة: لماذا بقيت؟ بلا أمير رضا، بلا أولادى. باريس لم تعد باريس السابق. بир و أصبح سىء الطياع ولا يطيق الغرباء. حان الوقت لأعود إلى طهران، حياتي هناك، بيتي هناك، منزلي الحقيقي.» (ترقى، ١٤٠٢: ١٣-١٥)

تحليل أزمة الهوية في روايتي "العودة" و"بروكلين هايتس"

أزمة الهوية، إحدى النتائج الأساسية للهجرة، تظهر في شكل تجربة الانفصال، والاغتراب عن الذات، ومحاولة إعادة تعريف الشخصية في البيئة الجديدة. في رواية "العودة" لكلى ترقى، تتجلى هذه الأزمة أكثر من أي شيء آخر في صورة الحنين، والشعور بالانتماء المفقود، والعجز عن التكيف مع الماضي. الشخصية الرئيسية، عند عودتها إلى الوطن بعد سنوات من الهجرة، تدرك أنّ هويتها السابقة أصبحت عدية التأثير في المجتمع المتغير. في الواقع، تؤدي العودة الجسدية إلى شعور بالغربة في الوطن، ويقدم الكاتب صورة للمهاجر العائد الذي أصبح مقطوعاً عن كلا العالمين

ومصاباًً بشرح هوبياتي مزدوج.

فـى المقابل، رواية "بروكلين هايتـس" لـيرال الطحاوى تقدم صورةً عن هجرة مستمرة وثابتة ضمن فضاء المجتمع الضيف. الشخصية النسائية فـى الرواية، وسط المجتمع الأمريكية، ومع ثقافة تختلف تماماً، تـشـغل بإعادة تعريف أنوثتها، وانتـمائـها القومي، وطموحـاتـها الشخصية. أزمة الهوية فـى هذا العمل تتـجـسد من خلال السـرد الداخـلى، والـذـكريـاتـ المـتـنـاثـرـةـ، والـتـنـاقـضـاتـ الـيـوـمـيـةـ معـ الـبـيـئـةـ الـغـرـبـيـةـ. وعلى عـكـسـ روـاـيـةـ "الـعـودـةـ" الـتـىـ تـنـظـرـ إـلـىـ المـاضـىـ وـالـوطـنـ كـمـصـدـرـ لـهـوـيـةـ، تـرـكـزـ "برـوكـلـينـ هـاـيـتـسـ" أـكـثـرـ عـلـىـ خـلـقـ هـوـيـةـ جـدـيـدةـ فـىـ قـلـبـ الـوـحـدـةـ وـالـانـزـوـاءـ التـقـافـيـ. الجـدـيرـ بـالـذـكـرـ أـنـ كـلـتـاـ الكـاتـبـتـيـنـ، باـسـتـخـدـامـ زـاـوـيـةـ نـظـرـ نـسـائـيـةـ، تـصـوـرـانـ الـهـجـرـةـ لـيـسـ فـقـطـ كـتـغـيـرـ مـكـانـيـ، بلـ كـسـفـرـ دـاخـلـىـ لـإـعـادـةـ النـظـرـ فـىـ "الـذـاتـ" الضـائـعـةـ. فـىـ روـاـيـةـ "الـعـودـةـ"ـ، تكونـ نـتـيـجـةـ هـذـاـ السـفـرـ نـوـعـاـًـ مـنـ الـاضـطـرـابـ الـهـوـيـاتـيـ الـذـىـ يـؤـدـىـ إـلـىـ عـوـدـةـ فـاشـلـةـ؛ـ أـمـاـ فـىـ "برـوكـلـينـ هـاـيـتـسـ"ـ، فـإـنـ الـجـهـدـ مـنـ أـجـلـ التـكـيـفـ يـؤـدـىـ إـلـىـ خـلـقـ هـوـيـةـ مـتـعـدـدـةـ الطـبـقـاتـ وـمـخـتـلـفـةـ.

انعدام المأوى

يمـكـنـ تـسـمـيـةـ وضعـ الـفـرـدـ الـمـهاـجـرـ بـيـنـ ثـقـافـيـنـ مـخـتـلـفـيـنـ (ـثـقـافـهـ وـثـقـافـةـ الـآـخـرـ)ـ بـاـنـعـدـامـ المـأـوىـ.ـ بـعـبـارـةـ أـخـرـىـ،ـ «ـانـعـدـامـ المـأـوىـ هوـ وـضـعـ الـمـهاـجـرـ فـىـ فـضـاءـ بـيـنـ ثـقـافـيـنـ بـحـيـثـ يـشـعـرـ بـالـاتـتـمـاءـ أـوـ عـدـمـ الـاتـتـمـاءـ إـلـىـ الـأـرـضـ الـتـىـ يـعـيـشـ عـلـيـهـاـ».ـ (ـحـقـاـيقـيـ وـآـخـرـونـ،ـ ١٤٠٠ـ شـ:ـ ١٨٧ـ)ـ انـعـدـامـ المـأـوىـ لـاـ يـعـنـىـ فـقـدـانـ الـبـيـتـ أـوـ السـكـنـ.ـ لـأـنـهـ «ـهـتـىـ عـنـدـماـ تـكـوـنـ فـىـ الـبـيـتـ،ـ قـدـ لـاـ تـشـعـرـ بـأـنـكـ فـىـ مـنـزـلـكـ،ـ لـأـنـكـ لـاـ تـشـعـرـ بـالـرـاحـةـ دـاخـلـيـاـ؛ـ بـعـنـىـ أـنـ

أـزـمـةـ هـوـيـتـكـ الـثـقـافـيـةـ تـحـوـلـكـ إـلـىـ مـهـاـجـرـ نـفـسـيـ».ـ (ـتـاـيـسـنـ،ـ ١٣٩٤ـ:ـ ٥٣٦ـ)

لـقـدـ كـتـبـتـ الطـحاـوىـ الـرـوـاـيـةـ بـطـرـيـقـةـ تـُـظـهـرـ مـنـذـ السـطـورـ الـأـوـلـىـ أـنـ بـطـلـةـ الـقـصـةـ سـتـعـيـشـ وـحـيـدةـ فـىـ مـدـيـنـةـ غـرـبـيـةـ،ـ وـأـنـ رـفـيقـهـ الـوـحـيدـ سـيـكـوـنـ اـبـنـهـ.ـ إـنـهـ تـبـحـثـ عـنـ مـنـزـلـ تـخـتـارـهـ مـنـ بـيـنـ جـمـيـعـ الـشـوـارـعـ،ـ فـاخـتـارـتـ "ـفـلـاتـ بوـشـ".ـ قـبـلـ وـصـوـهـاـ إـلـىـ أـمـريـكاـ،ـ كـانـتـ هـنـدـ تـبـحـثـ عـنـ المـنـزـلـ الـذـىـ يـنـاسـبـهـاـ فـىـ هـذـاـ الـبـلـدـ،ـ فـتـخـتـارـ مـنـزـلاـ يـلـائـمـ وـضـعـهـاـ وـحـالـتـهـاـ.

في مكان آخر، لا ترغب هند في الظهور في المقهى بسبب وحدتها، فهي تعلم أنَّ جميع الموجودين هناك لاجئون، وتدرك أنَّ وحدتها ستجعلها موضع تساؤل. ومع ذلك، تواجه تساءلاً لهم، فتجيب على أسئلتهم بإجابات كاذبة:

المقهي الذي تقصده ضيق و مظلم و النارجيله لها رائحة ماء عطن... و مع ذلك أسموه (ألف ليلة وليلة). تتنفس ببطء وحدر و تنظر حولها بترقب بعد أن تكتشف أنها الأنثى الوحيدة. تتصفح عدة جرائد و مجلات صفراء. عامل المقهي طويل و نحيل، تذكرها هيئته بكل مدرسي العربية في قريتها، ينادونه بالأستاذ دليلاً على تقدير ماضيه الذي لا يعرفه أحد. تحاول أن تخفي وجهها خلف الجريدة، قبل أن يفاجئها بالسؤال المعتاد المعد لها: أنت ساكنة لوحدي؟ (نفسه: ٣٩)

تدرج رواية "العودة" في فئة أدب الهجرة، وتناول السؤال الدائم للمهاجرين: أذهب أم أبقى؟ الشخصية الرئيسية في هذه الرواية امرأة ربطت كل جزء من وجودها بشخص آخر، ما يجعلها تشعر بالفراغ. فقد ربطت ماهسيما جزءاً من وجودها بزوجها في طهران، وجزءاً بآبائتها في أمريكا، وجزءاً بأخيها في ألمانيا، وجزءاً بأختها في كندا. قبل سنوات، غادرت طهران على أمل حياة أفضل مع زوجها وطفليها، واليوم لا يرافقها أى من أفراد هذه العائلة. فقد ذهب أباؤها ليتابعوا حياتهم، وعاد زوجها إلى إيران. تعلم ماهسيما أن زوجها لم يعد ملتزماً بها، لكنها تتظاهر بعدم المعرفة. تعيش في ماضٍ سعيد وتطمح إلى مستقبل أفضل. ترغب في البقاء دائمًا في هذا الوهم، لكنها تُجبر على السفر إلى إيران ومواجهة الواقع. يتحول هذا السفر إلى رحلة تعود فيها ماهسيما إلى ذاتها. في هذه الرحلة، تكون في أقصى حالات وحدتها. في الكتاب، لا يوصف هذا الشعور بالوحدة مباشرة؛ بل يحسُّ القارئ ببرودتها القارص والجامد بين سطور الرواية.

تحليل حالة انعدام المأوى في "العودة" و "بروكلين هايتيس"

تتجلى حالة انعدام المأوى، بوصفها حالة تعليق بين الأصل والوجهة، في رواية "العودة" للكلى ترقى بشكل مؤلم وحزيني. الشخصية الرئيسية، التي تعود إلى الوطن بعد

سنوات، تدرك أن الوطن لم يعد كما كان سابقاً؛ فقد تغيرت الأماكن، الناس، وحتى اللغة. بالنسبة لها، العودة ليست ولادةً جديدة، بل مواجهة مع فقدان هوية ضاعت أثناء الهجرة ولا يمكن استعادتها في الوطن. تظهر حالة انعدام المأوى في هذا العمل صورةً قوية من الغربة في بيتها؛ هجرة عكسية لا تمنح ملاداً، بل تزيد من معاناة الشعور بالانتماء المفقود.

في المقابل، رواية "بروكلين هايتز" تروي قصة امرأة مهاجرة تحاول التأقلم في قلب المجتمع الضيف، لكنها لا تملك رابطاً عاطفياً أو تقاوياً مع البيئة المحيطة بها. في ثقافة أمريكية غريبة، ولغة ثانية، ونظارات الآخرين الغريبة، لا تجد مأوى. يظهر انعدام المأوى في هذا العمل بشكل داخلي وتدربيجي؛ فالمرأة المهاجرة تتحاور في خلواتها مع ذكريات طفولتها وحيويتها القومية، لكن لا مكان في حياتها اليومية يستضيف تلك الذكريات. في هذه الرواية، لا يكون البيت مكاناً مادياً، بل استعارة للارتباط، الانتماء، والأمان النفسي؛ وهو الشيء الذي تحرمت منه الشخصية الرئيسية.

بوجه عام، حول كل من الكاتبتين "البيت" إلى ما هو أكثر من مجرد مكان جغرافي؛ فالبيت يصبح رمزاً للذاكرة، اللغة، المذور، والمعنى. يعد انعدام المأوى في كلتا الروايتين تجربة نسائية للانفصال في عالم الهجرة؛ إدراهما في وطن لا يعاد بناؤه، والأخرى في غرب بلا ذاكرة.

مقارنة البيئة

يتجلّى التناقض والبارادوكس في الهجرة عندما يطلب من المهاجر أن يحافظ على ثقافته الأصلية وفي الوقت نفسه يتبنى ثقافة البيئة الجديدة. «المضيف في الوقت ذاته يطلب منه أن يكون متوافقاً ومتشاربًا مع الثقافة الجديدة، وفي نفس الوقت يحافظ على حد من الاختلاف.» (اسكوي، ١٣٩٨: ٤٣) أطلق نجوميان على هذا البارادوكس لأول مرة مصطلح «بارادوكس التشابه/الاختلاف في نظام التفاعل الثقافي للمهاجرين.» (راجع: نجوميان، ١٣٨٩: ١١٩-١٣٠)

عاشت الطحاوي في دولتين مختلفتين وكانت شاهدة عن قرب على آلام وآمال

النساء، وقد واجهت نفسها، كونها امرأة، مجموعة من المشاكل. لذلك، تصف النساء في مجتمعها بــ"شاعر صادقة وجذابة"؛ وعلى الرغم من هذه الأوصاف العامة والجذابة للشخصيات النسائية التي تقدمها، إلا أنها لا تغفل عن تصوير شخصيات النساء اللواتي يعشن في الولايات المتحدة، إذ أن الكاتبة تقيم منذ عدة سنوات في أمريكا ولديها وعى كامل بوضع النساء هناك. في وصف إيليا، وهي من النساء المسنات المهاجرات إلى أمريكا، وعندما ترى هند إيليا التي تعمل ببيع الأحذية التقليدية في الشوارع من أجل لقمة العيش، يتداعى في ذهنها ذكرى جدتها غير الحقيقة زينب؛ تعرض الكاتبة إيليا بتفاصيل دقيقة لتوسيع شخصيتها للقارئ وإظهار وجه الشبه بينها وبين زينب، التي كانت تمتلك صفات مشابهة لإيليا وكانت تؤدي هند بوجهها المخيف على الأخطاء الصغيرة وتجزها في المخازن. لذلك، كل شخصية في هذه القصة لا تظهر بدون سبب واضح:

تعير عليها "إيليا" التي ترتدي معطفاً رمادياً، يشبه معطفها تماماً، تجلس بجانبها وتبتسم. قصيرة نحيلة، منحنية قليلاً، ووجهها مليء بالتجاعيد، وثمة شعر أبيض يخرج من أماكن غير متوقعة في وجهها، مثل فتحة الأنف، وحواف الشارب. لعینيها هذا التيقظ الحاد، كأنما كرتان من هب. (نفسه: ٥٩)

كما ذُكر سابقاً، فإن ذكر "تلال فرعون" مقابل "بروكلين" يشير إلى العادات والتقاليد المغلقة والمحدودة للبيئة الجغرافية في تلال فرعون، والتقابل بين المكانين ليس لأجل الاختلاف الجغرافي أو المناخي، بل لكي تتمكن الكاتبة من تصوير شخصية بطلمي، التي قضت فترة طويلة في تلال فرعون والآن تعيش في بروكلين. تلال فرعون هو المكان الذي قضت فيه هند طفولتها وشبابها وتركت فيه، وهو مرتبط بجدها والدتها.

تقوم الكاتبة، قبل استحضار ذكرى هند التي تتضح عند رؤية "المقبرة الحضراء"، بالإشارة إلى ماضيها مع جدتها، ليكون ذلك مدخلاً إلى استرجاع ذكرياتها في الولايات المتحدة الأمريكية:

تعس "هند" في طفولتها في حجر "الضيافة" التي تفتح صدرها، كلما أرهقتها الوسائل الجافية القاسية التي لا تعطى حنانها لأحد، فتقول لها في الحلم: «لو كان بيت أبيها

قريب... كنت أروح وأجيـب صحن زبيب، تأكلـيه وتصـلـى على الحـبيب وكل واحد له حـبيب، يقول: اللـهم صـلـ عـلـيـهـ»، فـتنـعـس حـالـةـ بـيـلـادـ بـعـيـدةـ تـأـتـيـ الأـحـلـامـ وـتـحـمـلـهـ إـلـيـهـاـ.

(الطحاوـيـ، ٢٠١١: ٥٥)

أما كلـىـ تـرـقـىـ فـىـ روـاـيـهـاـ، تـسـعـىـ إـلـىـ إـبـرـازـ الفـرـوـقـ بـيـنـ بـيـئـةـ إـيـرـانـ وـالـاغـتـرـابـ، حـيـثـ يـبـدـوـ أـنـاـ أـمـامـ تـأـمـلـ بـسـيـطـ وـغـيـرـ مـعـقـدـ فـىـ الـوطـنـ وـالـاغـتـرـابـ: «أـصـدـقـأـوـهـاـ أـطـلـقـوـاـ عـلـيـهـاـ اـسـمـ «الـمـرـأـةـ المـشـتـتـةـ»ـ لـأـنـ كـلـ جـزـءـ مـنـ وـجـودـهـاـ يـتـجـهـ نـحـوـ شـخـصـ أـوـ مـكـانـ مـاـ: نـحـوـ أـبـنـائـهـاـ فـىـ أـمـرـيـكاـ، زـوـجـهـاـ فـىـ طـهـرـانـ، أـخـتـهـاـ فـىـ كـنـداـ، أـخـيـهـاـ فـىـ أـلـمـانـيـاـ، وـأـصـدـقـأـوـهـاـ مـقـرـبـوـنـ مـنـتـشـرـوـنـ فـىـ أـرـجـاءـ الـعـالـمـ»ـ (ترـقـىـ، ١٤٠٢ـ شـ: ١١)ـ وـفـىـ مـوـضـعـ آـخـرـ تـقـوـلـ: «لـمـ يـكـنـ لـدـيـهـاـ أـصـدـقـاءـ مـقـرـبـوـنـ. كـانـتـ تـبـتـعـدـ عـنـ الإـيـرـانـيـنـ الـمـلـكـيـنـ الـذـيـنـ يـعـيـشـوـنـ فـىـ أـحـلـامـهـمـ، وـعـنـ الـمـجـاهـدـيـنـ الـذـيـنـ يـجـمـعـوـنـ التـوـاقـيـعـ فـىـ الشـوـارـعـ لـمـلـصـحـتـهـمـ، وـعـنـ الـمـتـقـفـيـنـ الـيـسـارـيـنـ الـذـيـنـ كـانـتـ أـقـوـاـهـمـ قـدـيـةـ وـمـتـكـرـرـةـ»ـ (ترـقـىـ، ١٤٠٢ـ شـ: ١٦)

فـىـ روـاـيـهـاـ، شـخـصـيـاتـ تـرـقـىـ تـبـحـثـ عـنـ حـيـهـاـ الـقـدـيمـ. «الـأـبـطـالـ يـحـبـونـ أـنـ يـؤـدـواـ أـدـوـارـهـمـ فـىـ مـوـطـنـهـمـ، خـصـوصـاـ فـىـ شـمـيرـانـ، الـحـىـ الـقـدـيمـ لـلـكـاتـبـةـ»ـ (مسـاحـ وـآـخـرـونـ، ١٤٠٢ـ شـ: ٧٩ـ)ـ وـتـصـورـ الـكـاتـبـةـ هـذـاـ الـمـكـانـ وـالـبـيـئـاتـ فـىـ جـزـءـ مـنـ الـرـوـاـيـةـ كـمـاـ يـلـيـ: «كـانـ أـمـيرـ يـشـعـرـ أـنـ وـطـنـهـ الـحـقـيـقـىـ هـنـاـ (بارـيسـ). كـانـ يـرـفـعـ صـوـتـهـ لـيـصـلـ جـيـداـ إـلـىـ آـذـانـ مـاهـ سـيـماـ نـصـفـ الـمـغـلـقـةـ»ـ (عـزـيزـتـىـ، الـوـطـنـ كـلـمـاتـ فـارـغـةـ). وـطـنـىـ، سـوـاءـ قـبـلـتـ أـمـ لـمـ تـقـبـلـ، هـوـ هـذـاـ الشـقـةـ الصـغـيرـةـ الـتـىـ أـغـلـقـ بـاـبـهـاـ لـيـلـاـ بـاـرـتـيـاـحـ وـأـنـامـ. هـذـاـ زـقـاقـ وـهـذـهـ السـاحـةـ، حـيـثـ أـشـعـرـ بـالـرـاحـةـ تـحـ أـشـجـارـهـاـ. هـذـهـ الـحـدـيـقـةـ وـهـذـاـ الـمـطـعـمـ، حـيـثـ أـسـتـمـعـ بـالـجـلـوسـ عـلـىـ كـرـاسـيـهـاـ مـهـمـاـ شـعـرـتـ بـالـحـزـنـ. الـآنـ اـسـتـمـرـىـ فـىـ قـوـلـ شـمـيرـونــ شـاهـ عـبـدـ الـعـظـيمــ شـاهـ رـضاــ زـقـاقـ تـشـنـارـانــ شـارـعـ مـنـارـانــ مـنـزـلـ خـالـتـىــ مـنـزـلـ عـمـىــ مـنـزـلـ عـمـتـىــ اـتـرـكـيـهـ. هـذـهـ الـاشـتـيـاقـاتـ لـفـاطـىـ لـنـ تـنـتـهـىـ. طـهـرـانـ لـيـسـ الـمـدـيـنـةـ الـتـىـ عـرـفـاـهـاـ. إـنـهـاـ مـدـيـنـةـ أـبـنـاءـ الـأـثـرـيـاءـ الـجـدـدـ»ـ (ترـقـىـ، ١٤٠٢ـ شـ: ٢٩ـ)

«حـورـىـ (فـىـ طـهـرـانـ)ـ كـانـتـ سـعـيـدـةـ وـمـفـعـمـةـ بـالـحـيـوـيـةـ. قـالـتـ: اـنـهـضـىـ وـتـعـالـىـ. لـاـ تـعـلـمـيـنـ

كم نفتقدك. مكانك فارغ. عمّ تبحثين عن القلق؟ لم يحدث شيء. نحن بخير وسعداء معاً. حفلة ومرح قائمة. نذهب إلى البحر، التزلج، تسلق الجبال، منزل العم، منزل العمة، منزل السيد رياحى، بناتها، سباهى، منزل مهين خانم، شهين خانم، عودى إلينا. الدنيا يومان فقط عزيزتى، فلا تشددى على نفسك.» (نفسه: ٢٩)

مقارنة البيئة فى "العودة" للكلى ترقى و "بروكلين هايتس" لميرال الطحاوى فى رواية "العودة"، أصبحت بيئه طهران بعد سنوات عديدة مكاناً غريباً وغير مألوف للشخصية الرئيسية. الأماكن التي كانت يوماً رمزاً للذكرىات والاتماء والهوية فقدت الآن ألوانها، وفي قلب المدينة المتحضر، يشعر المهاجر بالعزلة والاغتراب. البيئة فى هذا العمل هى الوطن نفسه، الذى لم يعد ملائداً عاطفياً وتفافياً. تُظهر ترقى بهارة كيف يمكن للتغيرات الاجتماعية والفجوة الزمنية وضعف الذاكرة الجماعية أن تحول الوطن إلى بيئه غريبة، وتخلق شعور "الاغتراب فى المنزل".

من ناحية أخرى، تصوّر رواية "بروكلين هايتس" بيئه مدينة نيويورك، وبالاخص بروكلين، كمكان يستضيف المهاجر. هذه البيئة، بتنوعها العرقي، وسرعة الحياة الحديثة، والنظرة الغربية السائدة، مليئة بالتناقض بالنسبة للشخصية النسائية المهاجرة. فى هذه الرواية، البيئة الخارجية ليست مجرد مجرد إطار للاتماء، بل هي فضاء للضياع، وللجهد فى التكيف، ولعبور الحدود الثقافية. الطحاوى صمّمت البيئة كمرايا لداخلية الشخصية: عدم الاستقرار، الصخب، واللامبالاة فى المدينة، تتناغم مع وحدة وشعور فقدان الهوية لدى المرأة المهاجرة.

بشكل عام، الاختلاف الجوهرى فى نوع البيئة فى هذين العملين يظهر كما يلى: فى "العودة"، البيئة هى الوطن السابق الذى تحول الآن إلى فضاء غريب. أما فى "بروكلين هايتس"، البيئة هى الوطن الحالى ولكنه غريب، حيث تسعى الشخصية فى الرواية إلى إعادة بناء ذاتها. كلا العملين يبرزان أن البيئة، سواء فى الوطن أو فى الغربة، يمكن أن تكون عاملاً للشعور بعدم الاتماء، وأن الذكريات واللغة والتجربة النسائية وحدها هى

التي تعيد للوجود معنى.

النتيجة

أظهرت الدراسة الحالية، بنهجية مقارنة، أن الهجرة في روايتي "العودة" و"بروكلين هايت" لا تُعرض ك مجرد تجربة جغرافية، بل كعملية نفسية وثقافية وجودية. شخصية "هند" في رواية "بروكلين هايت" تمثل رمزاً للكاتبة الطحاوي نفسها، التي هاجرت من وطنها وعاشت في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تواجه تحديات نتيجة نشأتها في بيئه بدوية (تلال فرعون) التي نشأت فيها الطحاوي. أما "ماه سيمما" في رواية "العودة"، فهي امرأة غادرت وطنها مع زوجها وطفليها إلى باريس طلباً لحياة أفضل، لكنها بعد مرور سنوات طويلة تجد أن الأسرة لم تعد موجودة بالشكل الكلاسيكي المعروف. أزمة الهوية في هذين العملين، وبدرجات وأساليب مختلفة، تُدخل الشخصيات النسائية في تحدي إعادة تعريف "الذات؛ ففي "العودة" تنشأ هذه الأزمة من عمق الحنين والانفصال عن وطن تغير، بينما في "بروكلين هايت" تدفع تجربة العيش في بيئه مضيفة غريبة الشخصية نحو هويات سائلة ومتعددة. مفهوم انعدام المأوى في كلا العملين يعكس فقدان الارتماء؛ سواء في الوطن أو في الغربة. ففي "العودة" لم يعد المنزل ملائداً، ويجد المهاجر العائد نفسه غريباً حتى في وطنه؛ أما في "بروكلين هايت"، فإن المرأة المهاجرة في البيئة الغربية لا تمتلك منزلًا مادياً فحسب، بل لا تُقيم أي صلة بالبيئة الاجتماعية المحيطة بها. في كلتا الروايتين، يصبح المنزل استعارة للمعنى، والذاكرة، والارتماء؛ شيئاً مفقوداً تسعى الشخصيات لاستعادته. ومقارنة البيئة في العملين تُظهر التأثير العميق للمكان على انعكاس تجربة الهجرة. الوطن المفقود في "العودة" والمدينة بلا ذكرة في "بروكلين هايت" يشكلان أرضية للضياع وتفاقم الأزمة الداخلية للشخصيات. وقد استطاع كل من الكاتبيين، من خلال السرد النسائي، تصوير الهجرة كتجربة عاطفية و هوية وثقافية تتد آثارها إلى أعمق نفسية الشخصيات. الهجرة في هذين العملين ليست هروباً ولا عودة، بل رحلة مؤلمة في سبيل معرفة الذات؛ رحلة نادراً ما تنتهي، إذ لا يوجد بيت للعودة إليه، وإن وجد، لم يعد يشبه ما بقى في الذاكرة.

المصادر والمراجع

- امهداوه، شیده. (١٣٩١ش). "مهاجرت در ادبیات و هنر: جمیوعه مقالات نقدیهای ادبی-هنری: الهجرة فی الأدب والفن". مجموعه مقالات نقدیهای ادبیه و فنیه. طهران: سخن.
- اسکویی، نرگس. (١٣٩٨ش). "اکاوی مؤلفه‌های ادبیات مهاجرت در رمان‌های همنوایی شبانه ارکستر چوب‌ها و تماماً مخصوص: تحلیل عناصر الأدب المجرى في روايات التناسق الليلي لأوركسترا الخشب وكلها خاصة". فصلنامه علمی-پژوهشی زبان و ادبیات فارسی. جامعه آزاد الإسلامية، فرع سنتنچ. السنة ١١. العدد ٣٩. صص ٤٦-٢٤.
- الطاوی، علی. (١٣٨٢ش). بحران هویت قوی در ایران: أزمة الهوية القوية في إيران. طهران: شادگان.
- بریجانیان، ماری. (١٣٧١ش). فرهنگ اصطلاحات فلسفه و علوم اجتماعی: فرهنگ المصطلحات الفلسفیة والاجتماعیة. طهران: موسسه مطالعات و تحقیقات فرهنگی.
- پای، لوسین و همکاران. (١٣٨٠ش). بحران‌ها و توالی‌ها در توسعه سیاسی: الأزمات والتسلسلات فی التطور السياسي، ترجمه: غلامرضا خواجه سروی. طهران: انتشارات پژوهشکده مطالعات راهبردی.
- تایسن، لیس. (١٣٩٤ش). نظریه‌های نقد ادبی معاصر: نظریات النقد الأدبي المعاصر، ترجمه: مازیار حسین‌زاده و فاطمه حسینی. ط ٣. طهران: نگاه امروز.
- ترقی، گلی. (١٤٠٢ش). بازگشت: العودة. طهران: انتشارات نیلوفر.
- تفرشی مطلق، لیلا. (١٣٨٩ش). "مطالعات پسااستعماری در ادبیات مهاجرت: الدراسات ما بعد الاستعماریة في الأدب المجرى". نشریه علوم سیاسی. السنة الثالثة. العدد ١٠. صص ٢٢٢-٢١١.
- توكلی، مژگان؛ سیفی، محسن؛ صیادی‌نژاد، روح‌الله. (١٤٠٣ش). "بحران هویت شهروندان مهاجر در رمان الكافر: نوشه‌های بدر با تکیه بر نظریه استوارت هال: أزمة هوية المواطنین المهاجرین في رواية الكافر: لعلی بدر مع التركیز على نظریة ستیوارت هول". نشریه مطالعات شهر و ندی. السنة الأولى. العدد ١. صص ٤٦-٢٧.
- جهانگللو، رامین. (١٣٧٩ش). هگل و سیاست مدرن: هيغل والسياسة الحديثة. ط ٢. طهران: انتشارات علمی و فرهنگی.
- حقایقی، زهرا؛ حیدریان شهری، احمد رضا؛ یاحقی، محمد جعفر؛ صدیقی، بهار. (١٤٠٠ش). "خوانش تطبیقی مؤلفه‌های ادبیات مهاجرت از منظر رئالیسم انتقادی (مطالعه موردی: رمان عراقي فی باریس و همنوایی شبانه ارکستر چوب‌ها): قراءة مقارنة لعناصر أدب الهجرة من منظور الواقعية النقدية (دراسة حالة: الرواية العراقيه في باریس وتناسق الليلي لأوركسترا الخشب)". فصلنامه پژوهش‌های ادبیات تطبیقی. السنة ٩. العدد ٣٠. صص ١٩٤-١٦٧.
- دلاپورتا، دودیانی. (١٣٨٣ش). مقدمه‌ای بر جنبش‌های اجتماعی: مقدمه في المركبات الاجتماعية،

- ترجمه: محمد تقى دلفوز. طهران: انتشارات کوير.
- زربن کوب، عبدالحسین. (١٣٦٩ش). شعر بی نقاب: الشعر بلا قناع. طهران: انتشارات علمی.
- شعاری نژاد، علی اکبر. (١٣٧٥ش). فرهنگ علوم و فناوری: فرهنگ العلوم والتكنولوجيا. طهران: امیرکبیر.
- شمیسا، سیروس. (١٣٨٦ش). داستان یک روح (شرح و متن بوف کور صادق هدایت): قصه روح وحده (شرح و نص بوف کور لصادق هدایت). ط ٣. طهران: فردوس.
- الطحاوی، میرال. (٢٠١١م). بروکلین هایتس. بیروت: دار الآداب.
- فرزاد، عبدالحسین. (١٣٨٦ش). "مروری بر داستان نویسی معاصر عرب: مراجعة أدبية للكتابة الروائية العربية المعاصرة". پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی. مجله سمرقند. العدد ١٧.
- صفحه ٤٥-٢٢
- قاسمی، محمدعلی. (١٣٨٣ش). "هویت در فضای پستمدرن (بررسی آرای چنتال موفی در باب هویت: الهویة فی الفضاء ما بعد المداثة (دراسة آراء شانتال موفی حول الهویة)". مطالعات راهبردی. السنة ٧. العدد ٢. صص ٤٥٥-٤٧٤
- مدرسی، یحیی. (١٣٩٣ش). زبان و مهاجرت: اللغة والهجرة. طهران: پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی.
- مساح، آفاق؛ زیار، محمد؛ رزاقی، رویا. (١٤٠٢ش). "ادبیات مهاجرت از خلال خاطره پردازی های گلی ترقی: أدب الهجرة من خلال سرد الذكريات لدى گلی ترقی". مجله زبان پژوهی فرانسه. السنة ٨. العدد ٨. صص ١٠٠-٧٩
- نحویان، امیرعلی. (١٣٨٩ش). تجربه مهاجرت و پارادوکس همانندی/تفاوت: تجربة الهجرة و مفارقة الشابه/الاختلاف، مثنانه شناسی فرهنگی. طهران: سخن.
- یزدانی، کیقباد. (١٣٨٧ش). درآمدی بر ادبیات مهاجر و تبعید: ادبیات آلمانی در مهاجرت و تبعید: مقدمه فی الأدب المهاجر والمنفی: الأدب الألماني في الهجرة والمنفى. ط ١. طهران: چشم.